

إضاءة وضاءة 10

24-12-2025

أمين ملايشه

بعض الاسباب التي تحدد لباس العامة اليومي

غالبًا ما يكون لباس الناس اليومي، أي ما ترتديه الأغلبية في حياتها العامة، انعكاسًا لبيئتهم، وظروفهم، وثقافتهم، وما تراكم حولهم من عادات عبر الزمن. فاللباس لم يكن يومًا مجرد شكل خارجي، بل بدأ كحاجة، ثم تحوّل مع الوقت إلى تعبير ثقافي واجتماعي.

في بعض الدول العربية، اعتاد الناس ارتداء الدشدشاش أو الثوب، مع غطاء للرأس يُثبت بالعقال. هذا النمط من اللباس له جذور قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام، حيث عُرف العرب نساء ورجالًا بالحشمة في لباسهم، وكان الثوب الساتر هو الغالب. كما أن غطاء الرأس ارتبط بالثقافة وبطبيعة البيئة الحارة، فكان وسيلة للحماية من الشمس في زمن لم تكن فيه وسائل التكييف متوفرة، بالإضافة إلى اعتبارات ثقافية، فبعض المجتمعات ترى أنه من الانسب للرجل ان يغطي راسه اثناء لقائه بعامة الناس، وخصوصًا بعد سنّ الأربعين، باعتبار ذلك من مظاهر الوقار والاحتشام.

في تلك المراحل، كان غطاء الرأس يُثبت بعصبة بسيطة تُربط يدويًا لأسباب عملية. ومع مرور الزمن، تطوّرت هذه العصبة وأصبحت تُصنع بشكل جاهز، وغلب عليها اللون الأسود، لتُعرف لاحقًا بالعقال. وتشير روايات تاريخية معروفة إلى ارتباط هذا اللون الاسود بمرحلة سقوط الأندلس، فكان رمزًا للحداد، قبل أن يستقر لاحقًا كجزء من الموروث الثقافي.

ومع تطوّر الحياة الحديثة ووجود وسائل التكييف ووسائل الراحة، لم تعد الحاجة الوظيفية لهذا اللباس قائمة كما في السابق، إلا أن استمراره جاء بدوافع ثقافية ودينية واجتماعية، فأصبح يُلبس تعبيرًا عن الهوية والانتماء.

وفي مجتمعات أخرى، ما زال اللباس أقرب إلى الوظيفة المباشرة وإلى الطريقة العملية والاوفر ماديًا، كما في بعض مناطق جنوب خط الاستواء، حيث يعتمد الناس على لفات بسيطة في اللباس، سهلة وسريعة، وأكثر تكيفًا مع المناخ، ويكون الهدف الأساسي هو الراحة والعملية.

كما أن هناك أنواعًا من اللباس ترتبط بالمناسبات، كالأعياد أو الاحتفالات، حيث يُختار لباس خاص يخدم طبيعة المناسبة نفسها. وإلى جانب ذلك، يوجد لباس يرتبط بطبيعة أعمال ووظائف معينة، فلكل مهنة لباسها الذي يلبي احتياجاتها العملية. لكن التركيز هنا يبقى على اللباس اليومي العام، لأنه الأكثر حضورًا في حياة الناس، والأقرب للتعبير عن واقعهم الثقافي والاجتماعي.

ومن هذا المنطلق، قد يلاحظ البعض ان هناك اختلافًا في بعض المجتمعات في طريقة وضع غطاء الرأس أو شكله أحيانًا، ويُطرح السؤال: هل لكل تصرف قصد؟ وهل من الضروري أن يفهم الجميع هذا القصد؟ في الواقع، ليس كل معنى موجّهًا للعامة، ولا كل تفصيل يحتاج تفسيرًا، فبعض الأمور تُمارَس ببساطة، دون أن تكون رسالة أو خطابًا.

وفي هذا السياق، تُشير بعض الممارسات الصوفية إلى استخدام غطاء الرأس مع إبقاء الوجه والجبين مكشوفين، باعتباره تعبيراً رمزياً يدل على الانقطاع عن المؤثرات الخارجية في لحظات العبادة، والتوجّه إلى الله بكل خشوع ودون تشويش، حيث يُنظر إلى الوجه كمحلّ للحضور والاستقامة بالاضافة الى غير ذلك من الاسباب الرمزية الدينية المتوارثة. ومع الزمن، تنوّعت هذه الممارسات، واكتفى بعضهم بنقل الأثر دون تفسير، إذ لم يكن التفسير في بعض المراحل هو الغاية بحدّ ذاته.

وخلاصة القول، أن كل لباس في أصله كان له سبب: بيئي، أو وظيفي، أو ثقافي أو غيرها من الاسباب. وفي أيامنا هذه، تلبس كثير من المجتمعات لباسها اليومي اعتزازاً بالموروث الديني والثقافي، بوصفه جزءاً من الهوية والاستمرارية الاجتماعية.